

الدرس التاسع

4- معرفة القبلة بالعلامات المنصوبة نصاً أو استنباطاً

أنّ ما بيّنناه من الطرق لتحصيل سمت القبلة هي من أدقها وأقربها إلى التحقيق، لأنها تبتني على الأصول الرياضية المبرهنة. وهناك أمارات مروية وعلامات منصوبة معدودة استنبطها الفقهاء رضوان الله عليهم وقد نظمت المشهور منها فيما يلي:

بالعلم فالمظنّة الموجهة	صلّ إلى الكعبة عيناً أو جهة
ومشبهيه مغرب الآفاق	وأجعل على الأيمن في العراق
من جهة اليمين عند الطلب فضع سهيلاً طالعاً أماماً	ثم اجعل الجدى ¹ خلف المنكب وعكسه اجعل لو تريد الشاما
عند الوقوف ثابتاً سوياً	في المغرب العيوق والثريّا
وعكس حكم الشام حكم لليمن	على شمال ويمين أعلان

توضيح العلامات المنصوبة

أعلم أنّ هذه الأمارات تقريبية وتختصّ ببعض البلدان ولا يعرف بها سمت القبلة في غيرها. ومن البلدان المذكورة فيها هو العراق والشام والمغرب واليمن.

قبلة العراق

قال المحقق الشهيد محمد بن مكّي العاملي في اللّعة الدّمشقيّة:
((وعلامة أهل العراق ومن في سمتهم جعل المغرب على الأيمن والمشرق على الأيسر والجدى خلف المنكب
الأيمن))

¹ قد عرفت أنّ الجدىّ بصيغة التصغير يطلق على النجم القطبي في مصطلح هذا الفن وسيأتي تفصيله.

لا يخفى أن تحقيق المقام وتفسير هذا الكلام يبتني على معرفة كوكبة الجدى، ولأجل هذا يجب علينا أن نبحث عن هذه النجمة بالاختصار.

كوكبة الجدى

الجدى في الأصل بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وتخفيف الياء، لكنهم صغروه في الاصطلاح. فصار الجدى بضم الجيم وفتح الدال وتشديد الياء وهو أسم نجمة القطب المعروفة. وإنما صغروه للفرق بين الجدى هذا والجدى الذي هو العاشر من البروج². هذه النجمة تقع في طرف ذنب الصورة الفلكية التي تسمى بالدب الأصغر وقد تسمى ببنات النعش الصغرى وهي أقرب الصور الفلكية إلى القطب الشمالي. والجدى يدور حول القطب الشمالي الحقيقي في كل أربعة وعشرين ساعة دورة واحدة كاملة وذلك لحركة الأرض الوضعية. وبعد النجم المذكورة عن القطب الشمالي الحقيقي أكثر من درجة واحدة في زماننا ولكنه متغير تغيراً بطيئاً وقد عرفت وجهه في مبحث الحركة التقديمية من المقالة الأولى.

حكى الاستاذ العلامة الأملى عن أرواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء للفاضل فانديك أن بين الجدى وبين القطب درجة واحدة وعشرين دقيقة. وقال العلامة الكابلى بأن بينه وبين القطب الشمالي الحقيقي الآن درجة واحدة وأربع عشرة دقيقة كما في دائرة المعارف البريطانية (المجلد الثامن، ص153، الطبعة الثالثة عشرة) وحيثما يدور الجدى حول القطب في يوم وليلة مرة واحدة، فله غاية ارتفاع وغاية انخراط وفي هذين الوقتين يكون أكثر أنطباقاً على القطب الحقيقي. ولأجل هذا، إذا أراد الفقهاء تعيين القبلة به، يقيدونه بكونه في غاية ارتفاعه أو انخفاضه فانقذح بما أسلفنا أننا إذا جعلنا الجدى خلف المنكب الأيمن في أوساط العراق مثل الكوفة فننوجه إلى الجنوب الغربي و هي جهة القبلة إجمالاً. وذلك لأن طول البلد وعرضه فيها أكثر من مكة المكرمة.

قال الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملى في الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ((وهذه العلامة (أي جعل الجدى خلف المنكب الأيمن) ورد بها النص خاصة علامة للكوفة وما ناسبها وهي موافقة للقواعد المستنبطة من الهيئة وغيرها. فالعمل به متعين في أوساط العراق مضافاً إلى الكوفة كبغداد والمشهدين والحلة)) وقال العلامة الطباطبائي في الدرّة المنظومة:

ويعرف البعيد سمت القبلة من العلامات التي سبقت له

والجدى منها وهو أجلي آية حساً وبالآية والرواية

فاجعله خلف المنكب الأيمن في أوساط العراق مثل النجف

² راجع دروس معرفة الوقت والقبلة، الدرس 35 والدرس 70، وتحفة الاحلّة ص6، نقلاً عن تاج العروس والمغرب للمطرزى.

ثم اعترض الشهيد الثاني على صدر كلام الشهيد الأول بما يلي:

((و أما العلامة الأولى⁴ فإن أريد فيها بالمغرب والمشرق الاعتداليان كما صرح به المصنّف في البيان، أو الجهتان اصطلاحاً وهما المقاطعتان لجهتي الجنوب والشمال بخطين بحيث يحدث عنهما زوايا قوائم، كانت مخالفة للثانية⁵ كثيراً، لأنّ الجدى حال استقامته⁶ يكون على دائرة نصف النهار المارة بنقطتي الجنوب والشمال . فجعلُ المشرق والمغرب على الوجه السابق على اليمين واليسار يوجب جعل الجدى بين الكتفين قضية للتقاطع . فإذا اعتبر كون الجدى خلف المنكب الأيمن لزم الانحراف بالوجه عن نقطة الجنوب نحو المغرب كثيراً، فينحرف بواسطته الأيمن عن المغرب نحو الشمال والأيسر عن الشرق نحو الجنوب، فلا يصح جعلها معاً علامة لجهة واحدة، ألا أن يدعى اغتفار هذا التفاوت، وهو بعيد خصوصاً مع مخالفة العلامة للنص⁷ والاعتبار . فهي أما فاسدة الوضع أو تختص ببعض جهات العراق وهي أطرافه الغربية كالموصل وما والاها، فإنّ التحقيق أنّ جهتهم نقطة الجنوب وهي موافقة لما ذكر في العلامة . ولو اعتبرت العلامة غير مقيدة بالاعتدال ولا بالمصطلح بل بالجهتين العرفيتين انتشر الفساد كثيراً ...))

ويمكن أن يجاب عن هذا الاعتراض بأنّ الغرض هو بيان مراحل تحصيل صوب القبلة في البلدان المذكورة، بأن تكون المرحلة الأولى جعل المغرب على الأيمن و المشرق على الأيسر إجمالاً، والمرحلة الثانية انحراف الأيمن عن المغرب نحو الشمال والأيسر عن المشرق نحو الجنوب بحيث يجعل الجدى خلف المنكب الأيمن، وذلك للتسهيل في التحصيل . فهما مرحلتان لعلامة واحدة، لا علامتان مستقلتان لكي لا تتلائماً.

قبلة الشام

ذهب جمع من الفقهاء إلى أنّ علامة الشام هي جعل الجدى في غاية ارتفاعه أو انخفاضه خلف المنكب الأيسر وجعل سهيل أول طلوعه بين العينين .
أعلم أنّ نجمة سهيل هي من كواكب الصورة الفلكية التي تسمى بالسفينة وهي من الصور الجنوبية . وهذه النجمة مرئية في المواضع التي عرضها الشمالي 38 درجة و 35 دقيقة فنازلاً - كما في معجم المصطلحات النجومية - وهي عن طلوعها وبروزها عن الأفق تكون منحرفة عن الجنوب نحو المشرق، وعند كونها في غاية الارتفاع تكون مسامتة للجنوب .

³ الدرّة المنظومة، مبحث القبلة من كتاب الصلاة

⁴ يعني جعل المغرب على الأيمن والمشرق على الأيسر .

⁵ أي العلامة الثانية ويعني بما جعل الجدى خلف المنكب الأيمن .

⁶ أي جعل كونه في غاية ارتفاعه أو انخفاضه

⁷ يعني مخالفة العلامة الأولى للنصّ على جعل الجدى خلف المنكب الأيمن .

فإذا جعلها الشامي عند طلوعها بين العينين وجعل الجدى حال كونه في غاية الارتفاع أو الانخفاض خلف المنكب الأيسر، فهو متجه إلى الجنوب الشرقي وهي جهة القبلة إجمالاً . وذلك لأن طول البلد هناك أقل من مكة وعرضه أكثر منها.

وذهب طائفة أخرى من الفقهاء إلى أن علامة الشام هي جعل الجدى في الحالة المذكورة خلف الكتف الأيسر، لا المنكب الأيسر. وإليه أشار العلامة الطباطبائي بقوله:
وضعه في الشام على الأيسر من كتفيك لا المنكب في رأي زكن

وقال الشهيد الثاني في بيان وجهه:

((لأن انحراف الشامي أقل من انحراف العراقي المتوسط، وبالتحرير التلم ينقص الشامي عنه جزأين⁸ من تسعين جزءاً مما بين الجنوب والمشرق أو المغرب.))
وقال صاحب جواهر الكلام في مبحث علامات القبلة لأهل الشام من مباحث كتاب الصلاة من الجواهر:

((وذلك لأن بين نقطة الجنوب والمشرق تسعين جزءاً، وبينها وبين نقطة المغرب تسعين جزءاً أيضاً، وانحراف الشامي نحو المشرق أحد وثلاثون جزءاً من التسعين، وانحراف العراقي نحو المغرب ثلاثة وثلاثون جزءاً، فينقص الشامي عن العراقي جزين، لأن الكتف أقرب إلى ما بين الكتفين من المنكب، فيتفاوت بهما الانحراف.))

لا يخفى عليك أن هذا الحكم إذا كان صحيحاً بالنسبة إلى دمشق، لا يكاد يعم جميع أقطار الشام.

قبلة المغرب

قال الشهيد في اللمعة الدمشقية:

((وللمغرب جعل الثريا والعيوق على يمينه وشماله))

الثريا هي مجموعة تتألف من عدة كواكب على شكل عنقود، وستة منها ظاهرة واحد منها خفيّ يمتحن به الناس أبصارهم. وهي تقع على سنام صورة الثور الفلكية التي هي الثانية من البروج. والعيوق كوكب بهيّ يقع في الصورة الفلكية التي تسمى ممسك الأعنة وهي من الصورة الشمالية وبعدها - كما في معجم المصطلحات النجومية - خمس ساعات وثلاثون دقيقة وميلها الشمالي أربعون درجة . ويطلع العيوق مع الثريا بفاصلة قليلة.

وأضاف على هذه العلامة صاحب جواهر الكلام في مباحث علامات القبلة من كتابه، جعل الجدى حال استقامته أو مطلقاً كما جزم به كشف اللثام على صفحة الخد الأيسر. فتأمل.
وذهب العلامة الطباطبائي إلى أن علامة قبلة المغرب هي جعل الجدى على الأذن اليسرى.

⁸ أي درجتين من ربع الدور الذي هو بين الجنوب والمشرق، أو بين الجنوب والمغرب.

تبصرة

لا يخفى عليك أنّ المغرب يطلق على شمال أفريقيا فيشمل ليبيا وتونس والجزائر ومراكش، وهذا هو المشهور في مصطلح الجغرافيين، وقد يطلق ويراد به بعض المغرب كالحبشة والنوبة - كما في الروضة البهية - ولا شك في أنّ هذه الأقطار مختلفة من حيث سمت القبلة. ولعلّ هذا هو السبب لاختلاف آراء الفقهاء.

قبلة اليمن

علامة اليمن هي جعل سهيل أول طلوعه بين الكتفين وجعل الجدى في غاية الارتفاع أو الانخفاض على مقدم المنكب الأيمن أو الكتف الأيمن حسب اختلاف أقطاره. وإلى ذلك أشار الشهيد الأول بقوله: ((واليمن مقابل الشام)). فتأمل.

تذكرة

إذا أمعنت النظر فيما أسلفنا فقد عرفت أنّ الأمارات الشرعية والعلامات المستنبطة التي تعرض لها فقهاؤنا - رضوان الله عليهم - هي تقريبية. وإنما يعول عليها من لا يقدر على تحصيل سمت القبلة بالقواعد المتطقنة الرياضية المذكورة والضوابط الرصينة التي تعرض لها المتصلّعون في هذا الفن، كقاعدة العرض الأوسط وقاعدة السلك البسيط والمثلثات الكروية وأمثالها⁹.

⁹ راجع تحفة الأجلة في معرفة القبلة.